قوة على ذلك ما بغى لاحد قوة على طاعته لانه اذا اقدر على
الجاير وحاشاه من ذلك فما التام بيده بحث الجواب افتح
من الفصح وقيل ان المشركين اذا ذكروا الهتهم وصفوها بذلك
فعلق ذلك بكسر اللام اي تعلق بخاطره صلى الله عليه وسلم
فجرى على لسانه لما ذكرهم سهوا وقد رد ذلك القاضي عياض
فاجاد حيث قال هذا انما يصح حيث يمكن تغيير المعاني وتبديل الالفاظ
وزيادة ماليس من القران بل يجوز عليه السهو عن اسقاط اية
منه او كلمة ولكنه لا يقر عليه بل ينبه عليه ويذكر به الحين
انتهى وقيل لعله صلى الله عليه وسلم قال ذلك توبيخا
للكفار كقوله ابراهيم هذا ربي على احد التاويلات وكقوله
بل فعله كبيرهم هذا فابعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين
ثم رجع الى تلاوته قال القاضي عياض وهذا جايز اذا كانت
هناك قرينة تدل على المراد مع بيان الفصل وانه ليس من المتلو
والاسما وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلاة جايزا لفظ
عياض ولا يعترض هذا بما روي انه كان يعني الصلاة فقد كان الكلام
فيها غير ممنوع والى هذا نحى قال القاضي ابو بكر محمد
ابن الطيب الباقلاني البصري ثم البغدادي الحافظ لسان السنة
ولسان الامة الاصولي الاشعري المالكي مجدد الدين على راس
المائة الرابعة على الصحيح كما قال ابن تاقي من طبقات المالكية
في ونتيه وكان حسن الفقه عظيم الجدل وكان له بجامع المنصور
حلقة عظيمة وحدث عنه ابو ذر وتوفي يوم السبت لسبع بقين
من ذي القعدة سنة ثلاث واربعمائة وقيل انه لما وصل
الى قوله ومناة الثالثة الاخرى خشي المشركون ان ياتي
بعدها بشيء يذم المنصوب كعادته اذا ذكرها فبادروا
الى ذلك الكلام فخلطوه من تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم
على عادتهم في قولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا
فيه اظهروا اللغو رفع الاصوات تخليطا وتشويشا عليه بما
يشغل عنه الخواطر لجري هم عن مثله زاد في الشفا واشاعوا
ذلك واذاعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من كذبهم
عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا من قبلك الاية وبين للناس
الحق من ذلك من الباطل وحفظ القران واحكم اياته ودفع ما لبس
به العدو كما ضمنه قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر الاية ونسب
ذلك للشيطان ابليس لكونه الحامل لهم على ذلك كما جزم به عياض
او المراد بالشيطان شيطان الانس اي جنسهم قال الشيخ وهذا
الجواب ازين الاجوبة فيما يجب وان قال في شرحه انه
تعسف وقيل واستظهره عياض المراد بالغرانيق العلا الملائكة
كما قاله الكلبي بناء على ان المجاهد والغرانيق العلا كما قال

عياض

(١٦)

عياض لا على رواية تلك لانهم لم يتقدم للملايكة ذكر حتى يرجع اليه
اسم الاشارة ولذا الكفار يتولون الملايكة بنات الله
ويعبدونها قال القاضي فلا يبعد انه على هذا كان قرانا
تنسخ ذكر الحمل اي بعد على نظام واحد فقال افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى والغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى
ليرد عليهم بقوله الكم الذكر وله الانثى فلما سمع المشركون حملوه
على الجمع جهلا اوعنادا وتلبيسا وقالوا اتخذ عظم الهتنا ورضوا
بذلك مع انه انما يعبد لفظ الغرانيق ابن الملايكة لان استعارة الطير
لهم اظهر من استعارته للاصنام وقال عياض ورجا الشفاعة منهم
صحيح فنسخ الله تلك الكلمتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا
للتلبيس وهما الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى عبر عنهما
بالكلمتين مجازا من تسمية الكل باسم الجزء واحكم اياته كما نسخ كثير
من القران وكان في كل من انزالهما ونسخهما حكمة ليضل به من يشاء ويهدي
من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة
للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق
بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت
له قلوبهم ذكره القاضي عياض وقيل كان النبي صلى الله عليه
وسلم يرتل القران ترتيلا ويفصل الايات تفصيلا كما رواه
عنه الثقات فارتصده الشيطان في سكتة من تلك السكتات
ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمته اي صوت النبي صلى الله عليه
وسلم والنغمة في الاصل الصوت الخفي كما في القاموس بحيث
سمعه من دنا اليه فظنها من قوله اي جملة من القران واشاعها
ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل على ما انزلت
وتحققهم حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان
بل حكي عقبة ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك
في اسماع المشركين وقلوبهم ويكون حزنه صلى الله عليه وسلم
لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة ذكره عياض قال مريدا
به بيان الفرق بين هذا القاميه على ان الله ليس من قوله ولا مما اوحي اليه
ليسقط الاعتراض عليه بانه لا سبيل للشيطان عليه حتى يتمكن من
افعاله في كلامه وتلاوته ما ليس منه وقال اي عياض ما معناه
وهذا احسن الوجوه وهو الذي يظهر ويترجح ويؤيده ما روي عن
ابن عباس من تفسير تمنى بمعنى تلا قال تعالى لا يعلمون الكتاب الا
اماني اي تلاوة ولذا استحسن ابن العربي الحافظ محمد هذا التاويل
وقال معنى قوله في امنيته اي في تلاوته فاخبر الله تعالى ان
سنته في رسله عليهم الصلاة والسلام اذا ما قالوا قولا زاد
الشيطان فيه من قبل نفسه بكسر ففتح جهة فهذا نص
في ان الشيطان زاده في قول النبي صلى الله عليه وسلم لان

Copyright © King Saud University